التصوّف البيئي واستعادة النظام الكوني: إسهامات سيّد حسين نصر لأخلاقيات المناخ في السياق العالمي

Avika Afdiana Khumaedi[1], Muhammad Ulil Fahmi[2], Ahmad Taufiq[3]
[1,2,3]Universitas Islam Negeri K.H. Abdurrahman Wahid Pekalongan, Indonesia
E-mail avikaazkadina@gmail.com

الملخص

تظهر أزمة المناخ العالمية أن الحلول العلمية والتكنولوجية وحدها غير كافية، لأنّ تدهور البيئة ناتج أيضًا عن مشكلات أخلاقية وروحية عميقة. وبالاعتماد على نقد سيّد حسين نصر للحياة الحديثة، تتناول هذه الدراسة مفهوم التصوّف البيئي بوصفه منهجا روحيا وأخلاقيا لاستعادة الانسجام الكوني في سياق أخلاقيات المناخ العالمية. وتهدف الدراسة إلى توضيح المبادئ الأساسية للتصوّف البيئي في كتابات نصر، وبيان أهمية علم الكونيات الصوفي—وخاصة مفاهيم التوحيد، وقداسة الطبيعة، ومراتب الوجود لأخلاقيات البيئة، ودراسة كيفية إسهام هذه الأفكار في النقاشات المناخية المعاصرة. وباستخدام منهج البحث المكتبي النوعي، تقوم الدراسة بتحليل أعمال نصر الأساسية ومقارنتها بأدبيات أخلاقيات البيئة الحديثة. وتظهر النتائج أن المنظور الصوفي البيئي لدى نصر يقدّم رؤية شمولية للعلاقة بين الإنسان والطبيعة من خلال التركيز على الوعي الروحي، والترابط الكوني، وضرورة إعادة تقديس العالم الطبيعي. ويتحدى هذا المنظور الرؤية الاختزالية للعلم الحديث ويعرض وعيا أخلاقيا أكثر تجذّرا روحيا. وتخلص الدراسة إلى أن التصوّف البيئي يمثل إسهامًا مهمًا وتحويليًا في أخلاقيات المناخ العالمية من خلال توفير أساس روحي للمسؤولية البيئية، ومقاربة قادرة على استعادة الانسجام بين الإنسان والكون.

الكلمات المفتاحية: التصوف البيئي، سيد حسين نصر، أخلاقيات المناخ، الإيكولوجيا الروحية

Introduction

لقد تفاقمت أزمة المناخ العالمية خلال العقود الاخيرة، مما اظهر أن الاستراتيجيات العلمية والتكنولوجية وحدها غير كافية لوقف التدهور البيئي. وتشير تقارير (Intergovernmental Panel on Climate Change IPCC, 2023) إلى استمرار إرتفاع درجات الحرارة، وفقدان التنوع الحيوي، واختلال التوازن البيئي على الرغم من التطور العلمي المتسارع. ويرى عدد من الباحثين إن هذا التدهور المستمر يرتبط، في جوهره، بازمة اخلاقية وروحية عميقة (Berry, 2015)، الأمر الذي يبرز الحاجة إلى إطار أخلاقي شامل يدمج بين العلم والبعد الروحي.

لقد تشكلت الأخلاقيات البيئية الحديثة في ظل منظومة علمانية عقلانية تفصل الإنسان عن الطبيعة. وقد جادل (White Lynn،1967) بأن النزعة الانسانوية الغربية المرتبطة بالعقلانية التقنية اسهمت بصورة مباشرة في الأزمة البيئية الراهنة. وعلى الرغم من أهمية هذا النقد، فإن السياسات البيئية الحديثة ما تزال تعطي الأولوية للحلول التقنية على حساب المقاربات الأخلاقية العميقة.

وفي المقابل، تقدم التقاليد الدينية، وخاصة التراث الاسلامي، منظورا بديلا يؤكد على قداسة الطبيعة وترابط الكائنات كلها ضمن نظام كوني واحد. فمفاهيم التوحيد والميزان والخلافة تشكل اساسًا كونيًا شاملاً للاخلاق البيئية .(Foltz, 2003) غير أن الدراسات التي تربط الروحانية الإسلامية والتصوف بأخلاقيات المناخ العالمية لا تزال محدودة.

يعد سيد حسين نصر من أبرز المفكرين الذين كشفوا الجذور الروحية للازمة البيئية. ففي كتابه Man and Nature، يرى إن تدهور البيئة هو نتيجة مباشرة لنزع القداسة عن الطبيعة في العصر الحديث

(Nasr،1991) وتعد هذه الرؤية اساسا لما يعرف بالتصوف البيئي الذي يمزج بين الميتافيزيقا الصوفية والأخلاق البيئية.

وفي مجال اخلاقيات المناخ العالمية، يشدد الباحثون على ضرورة اعتماد مقاربات متعددة التخصصات تستوعب مختلف التقاليد الفكرية والدينية .(Gardiner, 2011) ومع ذلك، لا تزال الأخلاقيات العلمانية تهيمن على المناقشات، في حين يتم تهميش البعد الروحي والميتافيزيقي الذي يمكن ان يكون محفزا اخلاقيا مهما.

أن رؤية نصر الدين حول إعادة تقديس الكون تقدم اساسا ميتافيزيقيا للأخلاق البيئية يتجاوز المقاربات الاختزالية للعلم الحديث. فالكوزمولوجيا الصوفية تؤكد إن الانسان جزء من نظام الهي منسجم .(Nasr, 2006)ويرى (Khan, 2018) إن هذه الرؤية تمثل بديلا مهما للنموذج الميكانيكي السائد، لكنها لم تدرس بعد بصورة كافية ضمن اخلاقيات المناخ العالمية.

وقد أثبتت الحركات العالمية في مجال الإيكولوجيا الروحية، مثل أعمال توماس بيري وبرون تايلور، أن الإطار الروحي قادر على تعزيز السلوك البيئي المسؤول (Taylor, 2010). غير أن دمج التصوف البيئي في أخلاقيات المناخ العالمية لا يزال محدوداً، مما يكشف عن فجوة معرفية جديرة بالبحث والدراسة.

كما إشارت الدراسات الميدانية إلى أن المجتمعات التي تتعامل مع الطبيعة بوصفها مقدسة تظهر سلوكا بيئيا أكثر مسؤولية .(Gottlieb, 2006) ومع ذلك، لم تحلل هذه الدراسات دور مفاهيم

التصوف، مثل تزكية النفس والمراقبة والشكر، في تكوين وعي بيئي طويل الامد. ومن هنا تبرز أهمية دراسة البعد التربوي الروحي في تشكيل الأخلاق البيئية.

إن النقاشات الرئيسة في اخلاقيات المناخ، مثل العدالة المناخية والحقوق البيئية والمسؤوليات الجماعية، لم تدمج بعد رؤى كونية عميقة كالتي يقدمها التصوف. فالكوزمولوجيا الصوفية تربط الإنسان بالطبيعة ضمن شبكة وجودية واحدة تنبع من الحقيقة الإلهية (Jamieson, 2014) ، مما يقدم منظورا فريدا يتجاوز ثنائية الإنسان والطبيعة.

وفي السنوات الأخيرة تصاعدت الظواهر البيئية الخطيرة، مثل الجفاف واسع النطاق وظهور ما يُعرَف بـ مناطق الجفاف الفائق، حيث اندمجت مناطق الجفاف المتفرقة في أربع مناطق كبرى تُهدِّد الأمن المائي والغذائي لعدد كبير من سكان العالم .كما حذّرت منظمة الأمم المتحدة من أنّ تسارُع ذوبان الأنهار الجليدية يُهدِّد موارد المياه والغذاء لمليارات البشر.

وتبرز هذه الازمات العالمية الحاجة الملحة إلى إعادة النظر في أسس العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وهو ما يجعل فكر سيد حسين نصر أكثر أهمية في السياق الراهن. فالتصوف البيئي الذي يدعو إليه، من خلال التأكيد على الوعي الروحي والانسجام الكوني وإعادة تقديس العالم الطبيعي، يقدم اطارا اخلاقيا قادرا على معالجة جذور الازمة المناخية، لا مجرد مظاهرها. كما يوفر هذا الاطار رؤية شمولية تساعد على تشكيل سلوك بيئي مسؤول على المدى الطويل.

وانطلاقا من هذا السياق، تتمثل المشكلة الرئيسة لهذه الدراسة في السؤال الآتي: كيف يمكن للتصوف البيئي، كما صاغه سيد حسين نصر، أن يسهم في استعادة النظام الكوني ضمن اخلاقيات المناخ العالمية؟ وتهدف الدراسة الى تحليل المبادئ والمفاهيم الصوفية البيئية عند نصر وتقييم قدرتها على

اثراء النقاشات الاخلاقية حول المناخ. وقد افترضت الدراسة إن التصوف البيئي قدم إطارا اخلاقيا اكثر شمولا من النماذج العلمانية، وإنه وفر أرضية روحية لفهم أعمق للعلاقة بين الإنسان والكون.

الأسس النظري

التصوف البيئي يعرّف التصوف البيئي بأنّه مقاربة روحية وأخلاقية تعيد ربط الإنسان بالطبيعة ضمن إطار من القداسة والانسجام الكوني. ويقوم هذا المفهوم على دمج الميتافيزيقا الصوفية بالتوجّه البيئي المعاصر، بحيث تفهم البيئة بوصفها تجلّيًا للحقيقة الإلهية، وينظر إلى الإنسان باعتباره جزءا من نظام كوني مترابط، لا ككائن متسلّط على الطبيعة .(Nasr, 1991) وبذلك يشكّل التصوف البيئي نقدًا مباشرًا للرؤية المادية الحديثة التي اختزلت العالم الطبيعي في وظيفته الميكانيكية.

ويرى سيّد حسين نصر أنّ التصوف البيئي ليس مجرد إضافة أخلاقية للحركة البيئية المعاصرة، بل هو "عودة إلى رؤية كونية توحيدية" تربط الإنسان بالموجودات من خلال معنى القداسة، معتبرا أن الأزمة البيئية ما هي إلا نتيجة نزع القداسة عن الطبيعة في الحضارة الحديثة .(Nasr, 2006) ويؤكد نصر أنّ استعادة الانسجام الكوني لا يمكن أن تتحقق إلا بإحياء الوعي الروحي الذي يشكّل جوهر التجربة الصوفية. ولهذا يُعدّ التصوف البيئي إطارا حضاريا شاملا أكثر منه نظرية بيئية محضة.

أما الباحثون المعاصرون فيرون أن التصوف البيئي يمثل نموذجا واعدا في تطوير أخلاقيات بيئية ذات أساس روحي. ف Richard Foltz يؤكد أنّ التصوف الإسلامي يملك منظومة قيمية تتفق مع مبادئ الحفظ البيئي مثل التواضع الكوني، والتوازن، والرحمة بجميع الكائنات (Foltz, 2003). كما يرى Bron Taylor أن منظومات الإيكولوجيا الروحية ومن ضمنها الرؤى الصوفية تسهم في تعزيز السلوك

البيئي المسؤول، لأنّها تبني علاقة وجدانية وروحية بين الإنسان والطبيعة (Taylor, 2010). ومن هنا يظهر أنّ التصوف البيئي يعدّ جسرا بين التراث الروحي القديم ومتطلّبات أخلاقيات المناخ في العصر الحديث.

الميتافيزيقا الكونية

يرتكز التصور الميتافيزيقي لسيّد حسين نصر على أربعة مبادئ رئيسة: وحدة الوجود ضمن إطار التوحيد، وتراتبية المراتب الوجودية، وقداسة العالم الطبيعي، وضرورة إعادة تقديس الكون. ويرى نصر أنّ الإنسان الحديث أخطأ حين اختزل الطبيعة في مادّتها فقط، متجاهلا رمزيتها ودلالتها الروحية، الأمر الذي أدى إلى انفصال الإنسان عن النظام الكوني المقدّس .(Nasr, 1989) ويشير عدد من الباحثين إلى أنّ هذا المنظور الروحي يوفر أساسا نظريا قويا للأخلاق البيئية مقارنة بالنماذج العلمانية التي تفتقر إلى البعد الميتافيزيقي العميق.(Khan, 2018)

ويتقاطع هذا التصور بدرجة كبيرة مع الرؤية الكونية لدى الإمام أبي حامد الغزالي، الذي أكّد في إحياء علوم الدين أنّ الكون بأسره قائم على نظام إلهي محكم، وأنّ كل موجود في العالم هو آية دالة على الخالق، وأنّ التأمل في الطبيعة يعدّ طريقًا لمعرفة الله وتعظيمه .(Al-Ghazali, 1986) ويرى الغزالي أن اختلال النظام البيئي ليس سوى انعكاس لفساد النفس وابتعاد الإنسان عن مقامات العبودية، مما يجعل إصلاح الباطن مقدمة ضرورية لإصلاح الظاهر؛ وهي رؤية تنسجم بشكل كامل مع طرح نصر الذي يجعل الوعي الروحي أساسًا لضبط علاقة الإنسان بالكون.

كما تتوافق رؤية نصر مع طروحات كبرى لعدد من أعلام التراث الصوفي. فابن عربي يصف العالم بأنه "مرآة للأسماء الإلهية"، وأنّ الإنسان الكامل هو من يدرك هذا الترابط الوجودي ويتعامل مع

الطبيعة بوصفها تجلّيًا مستمرًا للحقيقة الإلهية .(Ibn Arabi, 1997) أما فخر الدين الرازي، فقد أكّد في تفسيره مفاتيح الغيب أنّ الكون قائم على ميزان كوني دقيق، وأن العبث بالطبيعة إنما هو إخلال بهذا الميزان الرباني، مما يجعل الحفاظ على البيئة واجبا أخلاقيا وشرعيا في آن واحد (Al-Razi, 2004) ومن خلال هذه القراءات، يتضح أن الميتافيزيقا الكونية عند نصر ليست انحرافا عن التراث الإسلامي، بل هي امتداد أصيل لمقولات صوفية وفلسفية عريقة ترى الكون ميدانا للتجلي الإلهي، وتعتبر الإنسان جزءا من شبكة وجودية واحدة لا ينفصل فيها البعد الروحي عن الواقعي.

وهكذا يتشكل إطار نظري متكامل يجمع بين رؤية نصر المعاصرة والتراث الصوفي الكلاسيكي، ليقدّم تفسيرا شاملا للعلاقة بين الإنسان والكون، ويؤسس لمنظور بيئي ذي جذور روحية قادرة على مواجهة الأزمة البيئية العالمية عبر إعادة تنشيط الحسّ القدسي ووعي الانتماء الكوني.

الكوسمولوجيا الصوفية البيئية

تشير الكوزمولوجيا، في أصلها اللغوي، إلى مركّب من كلمتي كوسموس اليونانية بمعنى العالم، ولوغوس بمعنى العلم؛ ومن ثمّ فهي علم يبحث في أصل الكون وبنيته ونظامه الشامل. أمّا في المنظور الصوفي، فالكون ليس مجرد مادة محسوسة، بل هو تجلٍّ روحي لأسماء الله وصفاته. وقد أوضح ووكر أنّ التصوف يمثّل تعبيرًا وجدانيًا ورمزيًا يهدف إلى تحقيق نوع من الاتحاد القلبي مع الله عبر المحبة الروحية، وهو ما يبرز الأساس الأنطولوجي لفكرة سيّد حسين نصر التي ترى أن الأزمة البيئية المعاصرة هي نتيجة لفقدان النظرة القدسية إلى العالم الطبيعي . (Walker, 2009)

ويقدّم التراث الصوفي أربع نظريات كبرى في تفسير نشأة العالم وبنيته: (1) نظرية الإشراق عند السهروردي، (2) نظرية التجلي عند ابن عربي .(Ibn Arabi, 1911) (3) الحكمة المتعالية عند

ملا صدرا . (Rizvi, 1999) و(4) النظرية الذرّية عند الغزالي. وعلى الرغم من اختلاف هذه النظريات في منهجها وبيانها، فإنّها تشترك في نظرتها إلى الكون بوصفه مراتب متعالية تتداخل فيها العوالم العلوية مع العوالم السفلية، ما يجعل الوجود شبكة مترابطة لا يمكن فصل بعضها عن بعض. وقد لخّص سويتو هذه التصورات الصوفية في كونها منظومة روحية وأخلاقية متكاملة. (Suwito, 2011)

وقد استفاد سيّد حسين نصر من هذا التراث العميق ليطوّر مفهومه عن العلم المقدّس (Scientia Sacra)، وهو علم يدمج بين التجربة الروحية والمعرفة العقلية، ويرى أن العالم كتاب إلهي مفتوح ينبغي أن يُقرأ بالبصيرة لا بالحسّ وحده. ومن هذا المنطلق، يؤكّد نصر أن الإضرار بالطبيعة ليس مجرد فعل اقتصادي أو تقني، بل هو خرق للعهد الوجودي بين الإنسان وخالقه، لأن الإنسان بحسب الكوزمولوجيا الصوفية ليس سيّدا على الكون بل خليفة مؤتمن على حفظ الموازين الكونية.(Naser, 1994)

ويذهب نصر إلى أنّ إعادة الاعتبار لقداسة الطبيعة تمثّل شرطا جوهريا لولادة أخلاقيات بيئية عالمية متجذّرة في الروح. فإذا أدرك الإنسان أنّ العالم الطبيعي ليس شيئا صامتا، بل هو مرآة للتجلّي الإلهي، تحوّل حفظ البيئة من مهمة إجرائية إلى عبادة قلبية. في هذا السياق، يصبح العمل البيئي امتدادًا لتهذيب تزكية النفس، لأن من يعترف بوحدته مع الوجود يعجز عن إيذاء الطبيعة أو معاملتها بوصفها مادة للاستهلاك فحسب . (Naser, 1994)

وتساعد هذه الرؤية الصوفية للكون في بناء خطاب بيئي عالمي قادر على تجاوز المقاربات التقنية البحتة. فهي تحوّل الإنسان من كائن منفصل عن الطبيعة إلى جزء من نسيج كونيّ متكامل، وتعيد صياغة أخلاقيات المناخ على أساس روحاني يرى في التوازن (الميزان) سنّة إلهيّة يجب احترامها. ومن هنا،

يمثّل إسهام سيّد حسين نصر في أخلاقيات المناخ إطارًا فلسفيًا وروحيًا يربط بين المعرفة، والسلوك، والغاية الأخلاقية العليا، ما يجعل التصوّف البيئي مشروعا إصلاحيا واسعا يتجاوز الرسائل الأكاديمية إلى إعادة تشكيل نظرة الإنسان إلى الكون والحياة (Nasr، 1994)

المنهجية البحثية

يعتمد هذا البحث على المنهج النوعي ذي الطابع التحليلي الوصفي وذلك لملاءمته في دراسة البنية المفهومية للتصوّف البيئي واستعادة النظام الكوني في فكر سيّد حسين نصر، لا سيّما ما يتعلّق بالأبعاد الميتافيزيقية والكونية والأخلاقية لأزمة المناخ في السياق العالمي. وقد تمّ اعتماد منهج البحث المكتبي بوصفه وسيلة رئيسة لجمع البيانات، نظرا لكون موضوع الدراسة ذا طبيعة فلسفية–نظرية لا يتطلّب النزول الميداني. ولهذا الغرض، تم الرجوع إلى مؤلفات نصر الأساسية وإلى عدد من الكتب والدراسات الحديثة في فلسفة البيئة والفكر الإسلامي المعاصر. ويتّسم البحث كذلك بالطابع الوصفي–التحليلي الهادف إلى عرض الظواهر المدروسة وتحليلها بصورة منهجية، من خلال استقراء النصوص، وتصنيف موضوعاتها، واستنباط المفاهيم المركزية مثل: قداسة الطبيعة، نزع القداسة الحديثة، والخلافة البيئية. وقد خضعت البيانات للتحليل النوعي القائم على التفسير النصّي والكشف عن الدلالات

الكونية والأخلاقية الكامنة في خطاب نصر، وصولًا إلى استنتاجات نقدية حول إسهاماته في أخلاقيات المناخ.

وتقنية جمع البيانات عبر تحليل الوثائق والمراجع المتاحة، كالكتب، والمقالات، والدراسات السابقة. تتيح هذه التقنية تتبع تطوّر مفهوم التصوّف البيئي وتلقياته في الخطاب البيئي الإسلامي.

تم تحليل البيانات بالاعتماد على القراءة hermeneutic تحليلية، وذلك من خلال تصنيف الموضوعات، واستخراج المفاهيم، وربطها بالسياق الفكري العام لأزمة المناخ. تمكّن هذه الطريقة من الكشف عن كيفية توظيف نصر للتراث الروحي والميتافيزيقي في بناء منظومة أخلاقية كونية لحماية البيئة.

البحث والنتائج

أ. الأسس الميتافيزيقية والكونية للتصوّف في إطار أخلاقيات المناخ العالمية

يعدّ التصوّف البيئي إطارا ميتافيزيقيا وروحيا ينظر إلى العالم الطبيعي بوصفه مظهرا من مظاهر الحقّ الإلهي، ويدعو إلى إعادة القداسة إلى الكون وإرجاع الإنسان إلى موقعه الأصلي ضمن مراتب الوجود. وقد أكّد سيّد حسين نصر هذا المعنى من خلال مفهومه العلم المقدّس *Scientia Sacra* الذي يرى أنّ المعرفة ليست عملية تجريبية محضة، بل رؤية رمزية وروحية للطبيعة. (Rezeki et al., 2023) ويشير نصر إلى أنّ الأزمة المناخية ليست مشكلة تقنية، بل انعكاس لأزمة روحية في نظرة الإنسان إلى الكون وفقدان البعد القدسي للمعرفة.

يرى نصر أنّ الحداثة العلمية اختزلت الطبيعة إلى مادّة قابلة للقياس والتسخير، مما أدّى إلى اختفاء "القداسة الكونية". ومن أجل تجاوز هذه الأزمة، يدعو نصر إلى إحياء المعرفة التي تجمع بين

العقل والتأمّل الروحي، وتعيد التوازن بين الإنسان والكون. ويرى نصر أنّ السعي إلى معالجة أزمة المناخ لا يمكن أن يظل حبيس الحلول التقنية، بل يحتاج إلى إصلاح جذري في المشروع المعرفي الحديث، وهو ما أشار إليه في نقده "لثقوب سفينة العلم الحديث" في أكثر من عمل فكري. (Ridhwan, 2009)

يقوم التصوّف البيئي على مبدأ التوحيد الذي يجعل الوجود كلّه مرتبطا بوحدة الحقّ. وكلّ الكائنات تصبح "آيات" تشير إلى صفات الله. لذلك، فالطبيعة ليست "موارد"، بل خطاب كوني ذو دلالات أخلاقية وروحية. هذا التصوّر تولّد عنه موقف أخلاقي يحثّ على احترام الطبيعة باعتبارها جزءا من شبكة الوجود، وهو ما ينسجم مع رؤية العلماء المسلمين القدماء الذين جعلوا الكون كتابا مفتوحا يقرأ بقلب سليم كما في إشارات الغزالي والرازي وابن عربي. (Rusydi, 2018)

اعتمد نصر على التراث الصوفي في بيان مراتب الوجود (اللاهوت، الجبروت، الملكوت، الناسوت)، وأنّ الإنسان ليس مركز الوجود بل جزء من الهرم الكوني. والاعتداء على الطبيعة يُعدّ إخلالاً بالحكمة الكونية، لأنّ الطبقات السفلى من الوجود كالعالم الطبيعي تظلّ مرتبطة بالعالم الأعلى. (Widiyanto, 2017b) وهذا الفهم الهرمي يساعد في تهذيب سلوك الإنسان ويمنعه من التعامل مع الطبيعة باعتبارها شيئًا أدنى بلا قيمة، بل جزءًا متكاملاً من نظام إلهي محكم.

يرى نصر أنّ استعادة "قداسة الطبيعة" شرط أساس لظهور أخلاق بيئية ذات جذور روحية. فحين يرى الإنسان أنّ الطبيعة تجلّ إلهي، يصبح الحفاظ عليها ضربا من العبادة. ويعني ذلك أنّ

الممارسات البيئية لم تعد سياسات تقنية فقط، بل جزء من أخلاق التزكية والعبودية، وهو ما يجعل الالتزام البيئي التزامًا دينيًا ينبع من بُعد روحي داخلي، لا مجرد قوانين خارجية.

يركّز التصوّف على أنّ صلاح العالم الخارجي يبدأ من صلاح النفس. ومن هنا، فإنّ التزكية تعتبر جذرا للسلوك البيئي السليم. فمن يرى وحدة الوجود لا يتعامل مع الطبيعة باعتبارها مادّة للاستهلاك، بل شريكا وجوديا" في رحلة الإنسان. ولذلك، فإن تنمية البصيرة الروحية والتواضع الوجودي يشكّلان أساسًا لسلوك بيئي ثابت ومستدام، وهي رؤية أكّدتها دراسات التربية البيئية الحديثة التي تبني الأخلاق البيئية على القيم الداخلية.

من وجهة نظر سيّد حسين نصر، إعادة تقديس الطبيعة لا تقتصر على إعادة النظر في المعارف فحسب، بل تتطلب تغييرا داخليا في الذات البشرية من خلال تقوية الروحانية الصوفية. إذ يرى نصر أن الإنسان المعاصر فقد إحساسه بـ «الروحانية البيئية»، مما جعله ينظر إلى الطبيعة باعتبارها مجرد موارد قابلة للاستغلال. ولذلك، يدعو نصر إلى نوع من التربية الروحية يدمج التأمّل الصوفي *"scientia sacra"* مع المعرفة الحديثة، بحيث يصبح السلوك البيئي امتداداً للعبادة لا مجرد نشاط أخلاقي. (Fauzi,dkk. 2023)

كما يرى نصر أن الأيديولوجيا الأنثروبوسنتريّة كمحور الإنسان في الكون تشكل أحد الجذور الأساسية للأزمة البيئية المعاصرة، لأنها تمنح الإنسان الحق المطلق في السيطرة على الطبيعة .بناء على ذلك، يقترح نصر مقاربة "ايكولوجيا-إلهية" (ecotheology) تضع الإنسان في موقع الخليفة وليس

المتسلط، مما يستدعي مسؤولية أخلاقية في الحفاظ على التوازن الكوني والعدالة البيئية. هذه الرؤية تؤطر العلاقة بين الإيمان والبيئة في منظور متكامل يدمج الروح والكون. (Vella & Rizal, 2022)

وليس محصورة في المنهج التجريبي المادي فقط. فالعلم وفق نصر يجب أن يضمّ البعد الروحي والميتافيزيقي، لأنه بدون هذا البعد لا يمكن فهم أسرار الطبيعة العميقة أو معالجتها بشكل جذري . هذا التوحيد بين المعرفة الدينية والروحانية من جهة، والمعرفة العلمية من جهة أخرى، يعزز من إمكانية تحقيق استدامة بيئية دائمة تعتمد على وعي كوني عميق، لا مجرد حلول تقنية مؤقتة.

استنادا إلى دراسة التصوف البيئي لسيد حسين نصر، يمكن الاستنتاج أن الأزمة البيئية الحديثة ليست مجرد مسألة تقنية أو اقتصادية، بل هي انعكاس لفقدان الوعي الروحي لدى الإنسان تجاه الطبيعة. يجب أن يبدأ الحفاظ على البيئة من خلال التحول الباطني الذي يركز على تزكية النفس، واحترام وحدة الوجود، وفهم الطبيعة كـ تجلي إلهي .وعند اعتبار الطبيعة "نصًا كونيًا" مليئًا بالدلالات

الروحية والأخلاقية، سيُحفَّز الإنسان على الحفاظ على التوازن الكوني، ليصبح السلوك البيئي شكلاً من أشكال العبادة والخضوع لله تعالى.

وبالتالي، فإن التعليم البيئي المستند إلى التصوف يتطلب دمج المعرفة التجريبية مع الروحانية، حيث لا تقتصر المعرفة على البعد المادي فقط، بل تأخذ في الاعتبار أيضًا البعد الميتافيزيقي. وتبني هذه المقاربة أخلاقيات بيئية شاملة، تجعل الإنسان خليفة مسؤول عن الطبيعة، وتنمي الوعي الأخلاقي والروحي في مواجهة الأزمة المناخية العالمية. ويصبح هذا الوعي أساسًا لممارسات الحفاظ على البيئة بشكل مستدام، ومتسق، ومتوافق مع القيم الأخلاقية والروحانية في الإسلام.

تظهر نتائج دراسة الأسس الميتافيزيقية والكونية للتصوف في إطار أخلاقيات المناخ العالمية أن الوعي الروحي وتسلسل الوجود يشكلان الأساس الرئيسي للسلوك البيئي. ويؤكد التصوف البيئي على دمج المعرفة التجريبية مع التأمل الروحي لتحقيق مسؤولية الإنسان تجاه الطبيعة بصفتِه خليفة.

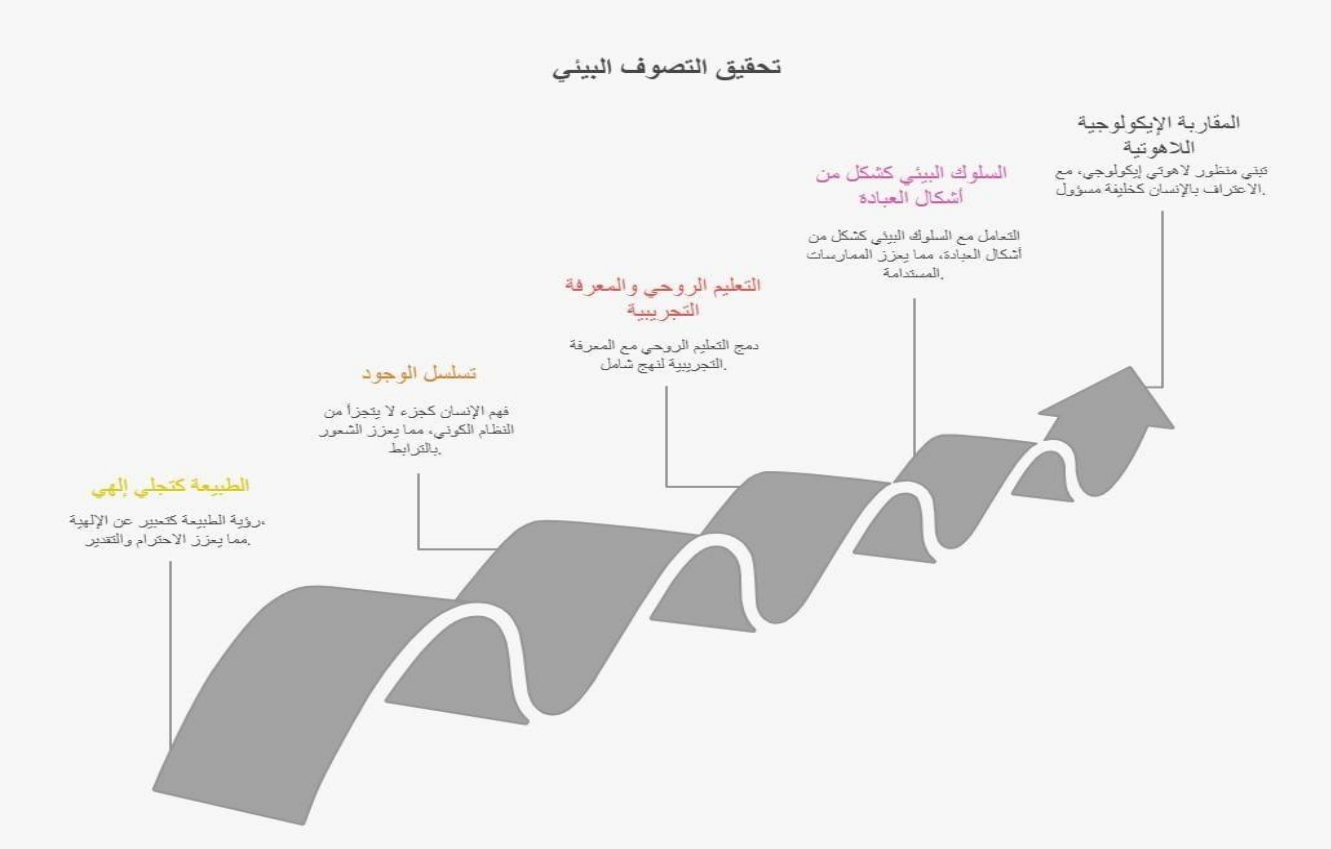

ب. إسهامات سيّد حسين نصر للفكر البيئي العالمي

إسهامات سيّد حسين نصر للفكر البيئي العالمي من أبرز الجهود الفكرية التي تربط بين البُعد الروحي والميتافيزيقي للطبيعة والأزمة البيئية المعاصرة. فهو يرى أن فهم الطبيعة كـ تجلٍّ إلهي وإعادة إدراك الإنسان لدوره كخليفة على الأرض يشكلان الأساس لإنتاج أخلاقيات بيئية مستدامة، كما يؤكد أن العلم الحديث وحده لا يكفي لمعالجة التحديات البيئية، بل يحتاج الإنسان إلى دمج المعرفة التجريبية مع التأمل الروحي والتربية الأخلاقية لإعادة بناء علاقة متوازنة مع الكون.

1. تأسيس تصوّر ميتافيزيقي وروحي للبيئة

من أهم إسهامات سيّد حسين نصر في الفكر البيئي العالمي هو تقديم تصوّر ميتافيزيقي وروحي للطبيعة، حيث يرى أن العالم الطبيعي ليس مجرد مادة تُستغل، بل هو تجلٍّ إلهي يظهر صفات الله، مما يضفي قداسة على البيئة ويعيد البعد الروحي المفقود. (Rezeki, A. 2023)

في كتابه *Knowledge and the Sacred*، يطرح نصر فكرة *"scientia sacra"*(العلم المقدّس)، وهو نوع من المعرفة يتجاوز الملاحظة الحسية والعقلانية إلى التأمل الروحي الذي يربط الإنسان بالواقع المتعالي والكوني (Nasr. 1981). ومن خلال هذا

التصور، ينتقد نصر العلم الحديث المادي الذي يفصل المعرفة عن البُعد المقدس، معتبرًا أن هذا الفصل هو أحد جذور الأزمة البيئية، لأن العلم المحايد يفقد اتصاله الروحي مع العالم.

نصر يدعو إلى العودة إلى المعرفة التقليدية (traditional knowledge) التي تجمع بين الحكمة الميتافيزيقية والتجربة الدينية، ويؤكد أن الإنسان في علاقته بالطبيعة ليس متسلطًا عليها، بل خليفة مسؤول عن التوازن الكوني. (Vella. 2024) وهذا المفهوم يتوافق مع قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ (الأنعام: 165)

كما يربط نصر مفهوم المسؤولية البيئية بالتصوف، حيث يرى أن التواضع والخشية من الله أساس للأخلاق البيئية، وهذا يتوافق مع قول النبي ﷺ: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَة، فالأرض وكل ما عليها جزء من شبكة أخوية وكونية.

ويضيف نصر أن التكنولوجيا وحدها لا تكفي لمعالجة الأزمة البيئية، بل الحل يبدأ من الداخل، من إصلاح القلب والعقل، بما يتماشى مع مفهوم تزكية النفس الذي أكده الغزالي في *إحياء علوم الدين* :إصلاح النفس مقدم على إصلاح العالم الخارجي. (Al-Ghazali. 1995).

2. تطبيقات واعتمادات فكرية في الإيكولوجيا

كيف يمكننا الاقتراب من عملية إعادة تقديس الطبيعة؟ يتضح أن إعادة تقديس الطبيعة ليست مجرد مهمة للتدخل و"الفعل" في الطبيعة، بل هي مهمة للتحوّل الذاتي، وطريقة "كون" تعتمد على التواضع. يؤكد نصر أن الحفاظ على قداسة الحياة يتطلب إعادة التذكّر بالقداسة الكامنة في الطبيعة. وهذا لا يعني أن يمنح الإنسان الطبيعة صفة القداسة فذلك خارج طاقته

بل يعني رفع الحجب عن الجهل والكبرياء التي أخفت قداسة الطبيعة عن نظر البشرية. وهكذا، يجب أن تُعاد تقديس الطبيعة من خلال التذكّر بماهية الطبيعة كمسرح للإبداع والحضور الإلهي، لا من خلال سيطرة الإنسان. (Nasr. 1996)

من الناحية التطبيقية، يُعدّ فكر نصر أساسًا لما يعرف بـ الإيكوتيولوجيا–(eco theology)، أي الربط المباشر بين الدين ومسؤولية الإنسان تجاه البيئة. فالاعتناء بالطبيعة يُعتبر عبادة ومسؤولية روحية. (Wasil. 2023) وفي السياقات المعاصرة، مثل دراسة الأزمة البيئية في إندونيسيا، يستخدم الباحثون أفكار نصر لتأكيد ضرورة التعليم البيئي الديني في المدارس والمؤسسات الدينية، بحيث يمكن دمج التربية الروحية مع التوعية البيئية. (Chlaodhius. 2024)

يسهم نصر أيضا في إعادة تصور أخلاقيات البيئة في الإسلام، حيث يرى أن العلاقة بين الإنسان والطبيعة يجب أن تبنى على قيم مثل العدالة والتوازن والخشية من الله، وليس على منطق الربح أو السيطرة. (Zein Muchamad. 2023) ويتفق معه بعض العلماء مثل محمد إقبال الذي شدّد على مسؤولية الإنسان كخليفة على الأرض، وفاروق السنّهوري الذي ركّز على ضرورة دمج الشريعة الإسلامية مع المعرفة العلمية لإنتاج سلوك بيئي مستدام.

علاوة على ذلك، يمتد فكر نصر إلى البُعد الاجتماعي والمجتمعي؛ إذ يمكن أن يُشكل مفهوم الولاية (الخلافة) أساسا للعمل الجماعي من خلال المنظمات والمؤسسات الدينية أو السياسات البيئية المحلية. كما يعزز توجهًا أكاديميًا جديدا يجمع بين الفلسفة الإسلامية، والتصوف، والبيئة، ما يُثري النقاش الفلسفي والروحي حول التحديات البيئية العالمية. ويعتبر

إدراك القيم التقليدية الإسلامية، سواء الروحية أو الميتافيزيقية، مفتاحا لفهم أعمق وأخلاقي للإيكولوجيا. ويُظهر فكر نصر رؤية عالمية، إذ يقدم إطارًا بيئيا روحيا يمكن تكييفه عبر ثقافات وأديان متعددة، مما يجعله ذا صلة قوية بالحركة البيئية المعاصرة.

أكثر من ذلك، يلاحظ تطبيق أفكار نصر في تطوير المناهج التعليمية البيئية القائمة على الروحانية؛ إذ بدأت المدارس والمؤسسات الدينية في عدة دول إسلامية بدمج مفهوم الروحانية البيئية في تعلمهم، مؤكدين أن احترام الطبيعة هو جزء من العبادة اليومية.

يشجع فكر نصر أيضا على التعاون بين الأديان والثقافات في مواجهة التحديات البيئية العالمية. وقد قارنت بعض الدراسات فكر نصر بفلاسفة البيئة المسيحيين مثل جوزيف سيتلر لإظهار كيف يمكن أن تكون القيم الأخلاقية والروحية أساسًا للأخلاق بيئية عالمية تتجاوز حدود الدين. (Wasil. 2023)

أخيرا، يؤكد فكر نصر أن حلول أزمة البيئة لا تقتصر على الجانب التقني أو العلمي، بل تتطلب تحوّلًا داخليًا في الإنسان من خلال التأمل الروحي، وتنمية التواضع، وتحمل المسؤوليةالأخلاقية. ومن ثم، تصبح تكامل المعرفة التجريبية مع الوعي الميتافيزيقي مفتاحًا لتحقيق سلوك بيئي مستدام، أخلاقي، وروحي. (Naser. 2015)

الخاتمة

تظهر هذه الدراسة أنّ فكر سيّد حسين نصر في مجال التصوّف البيئي يقدّم أساسًا فلسفيًا عميقًا لفهم الأزمة البيئية بوصفها أزمةً روحية ناجمة عن الحداثة. فالتدهور البيئي، في نظر نصر، مرتبط بانقطاع الإنسان المعاصر عن قداسة الطبيعة، بعد أن جرّدتها الحداثة العلمية–المادية من بعدها الميتافيزيقي. ومن خلال إحياء منظور *العلم المقدّس*، يؤكّد نصر أنّ الطبيعة تجلٍّ للوجود الإلهي، وأنّ التعامل معها ينبغي أن يستند إلى رؤية أخلاقية تحافظ على النظام الكوني ووحدة الخلق.

ومن خلال مفاهيمه حول وحدة الوجود، ودور الإنسان خليفةً في الأرض، وضرورة استعادة الرؤية الكونية المقدّسة، يطرح نصر إطارًا أخلاقيا بيئيا لا يقتصر على البُعد التقني، بل يتضمّن أبعادًا روحية وشمولية. ويبيّن هذا الطرح أنّ استدامة البيئة تتطلّب تحوّلًا في الوعي الإنساني، لا مجرّد سياسات أو أدوات تقنية. فالتصوّف البيئي كبديل فكري يسدّ الفراغ الأخلاقي الذي خلّفته الحداثة العلمانية، ويقدّم رؤية أكثر توازنًا لتأسيس أخلاقيات مناخية ذات جذور روحية وحكمة تراثية.

وبناء على ذلك، تستنتج الدراسة أنّ فكر نصر ذو أهمية كبيرة لإدماجه في مجالات التعليم في بيئي، وصياغة السياسات المناخية، والنقاشات الأخلاقية العالمية. فالنموذج الذي يقدّمه التصوّف البيئي يفتح آفاقًا لإعادة بناء علاقة أكثر تناغما بين الإنسان والطبيعة، عبر إعادة تأكيد موقع الإنسان الكون بوصفه حافظًا ومسؤولًا، لا مستغلًا ومهيمنًا. وهذه الرؤية تمنح أفقًا جديدًا لمساعي حماية البيئة من خلال مقاربة روحية وفلسفية وأخلاقية أكثر شمولا واتساقا.

المراجع

من الكتب

Al-Ghazali, A. H. (1986). *Ihya' 'ulum al-din*. Dar al-Ma'rifah. https://archive.org/details/ihya-uloom-al-din

Al-Razi, F. (2004). *Mafatih al-ghayb*. Dar al-Fikr.https://tafsir.app/ar/razi

Berry, T. (2015). *The sacred universe: Earth, spirituality, and religion in the twenty-first century*. Columbia University Press. https://cup.columbia.edu/book/the-sacred-universe/9780231149525

Foltz, R. C. (2003). *Islam and ecology: A bestowed trust*. Harvard University Press. https://www.hup.harvard.edu/books/9780945454257 Ibn Arabi, M. (1911).

Al-*Futuhat al-Makkiyyah*. Bulāq edition.https://archive.org/details/Futuhat

Nasr, S. H. (1981). *Knowledge and the sacred*. State University of New York Press. https://sunypress.edu/Books/K/Knowledge-and-the-Sacred2

Nasr, S. H. (1989). *Traditional Islam in the modern world*. Kegan Paul International. https://archive.org/details/traditionalislam0000nasr

Nasr, S. H. (1991). *Man and nature: The spiritual crisis of modern man*. ABC International Group. https://archive.org/details/mannaturespiritu0000nasr

Nasr, S. H. (1994). *The need for a sacred science*. State University of New York Press. https://sunypress.edu/Books/N/The-Need-for-a-Sacred-Science

Nasr, S. H. (1996). *Religion and the order of nature*. Oxford University Press. https://global.oup.com/academic/product/religion-and-the-order-of-nature-9780195108231

Rizvi, S. H. (1999). *Mulla Sadra and metaphysics*. Routledge. https://www.routledge.com/Mulla-Sadra-and-etaphysics/Rizvi/p/book/9780415308750

Suwito. (2011). Cosmology of Sufism in classical texts. (Monograf akademik).

Taylor, B. (2010). *Dark green religion: Nature spirituality and the planetary future*. University of California Press. https://www.ucpress.edu/book/9780520261006/dark-green-religion

Walker, B. (2009). *The essential Sufism*. HarperOne. (karya umum dalam studi tasawuf)

من البحوث العلمية

Fauzi, A., et al. (2023). The spiritual ecology in Islamic environmental ethics. *Journal of Islamic Studies Review*, 12(1), 90–108.

Gottlieb, R. S. (2006). Environmentalism and religion. *Journal of Religious Ethics*, 34(2), 355–376.

IPCC. (2023). Climate change 2023: Synthesis report. *Intergovernmental Panel on Climate Change*. https://www.ipcc.ch/report/ar6/syr/

Jamieson, D. (2014). Reason in a dark time: Why the struggle against climate change failed and what it means for our future. *Oxford University Press*.

Khan, M. A. (2018). Islamic environmental ethics and Seyyed Hossein Nasr. *Journal of Islamic Thought & Civilization*, 8(1), 1–15. https://doi.org/10.32350/jitc.81.10

Ridhwan. (2009). Kritik Seyyed Hossein Nasr terhadap modernitas sains. *MIQOT: Jurnal Ilmu-ilmu Keislaman*, 33(1), 170–185. https://doi.org/10.30821/miqot.v33i1.186

Rusydi, M. (2018). Etika lingkungan dalam perspektif sufistik. *Jurnal Ushuluddin*, 26(1), 89–104. https://doi.org/10.24014/jush.v26i1.4905

Taylor, B. (2010). Deep green religion and nature spirituality. *Journal for the Study of Religion, Nature and Culture*, 4(1), 45–56.

Vella, Y., & Rizal, F. (2022). Ecotheology in Islam: A contemporary reading of Nasr. *Jurnal Bimas Islam*, 15(3), 371–390.https://doi.org/10.37302/jbi.v15i3.558

White, L. (1967). The historical roots of our ecologic crisis. *Science*, 155(3767), 1203–1207. https://www.science.org/doi/10.1126/science.155.3767.1203

Widiyanto, A. (2017). Islamic theology and environmental ethics. *Al-Jami'ah: Journal of Islamic Studies*, 55(2), 357–392. https://doi.org/10.14421/ajis.2017.552.357-392

Zein, M. (2023). Environmental ethics in Islamic civilization revisited. *Studia Islamika*, 30(2), 335–360. https://doi.org/10.15408/sdi.v30i2.28955